



بالصربي

معصومة الكعبي .. في انتظار المعتصم بالله

سميرة رجب

sameera@binrajab.com

في إحدى ليالي العشر الأواخر من رمضان اتصل بي زوجها «أبو إياد الأحوازي»، اللاجئ السياسي في إحدى الدول الأوروبية، يستصرخ الماء وهو يطلب مني أن أقوم بأي عمل لإنقاذها، بعد أن ألقت السلطات السورية القبض عليها أثناء توجهها إلى مطار دمشق برفقة أطفالها الخمسة، لتستقل الطائرة إلى لقاء والدهم، وهو الهارب من بلاده بعد أن ذاق مرارة السجن والتعذيب، وأقفلت أمامه كل سبل العيش في بلاده.. الأحواز..

قال بحرقه «منذ هروبي من بلادي، من الأحواز، بعد انتفاضة أبريل ٢٠٠٥، واللجوء إلى هذا البلد الأوروبي، تعرضت زوجتي وابني، الذي لم يبلغ سن المراهقة بعد، للسجن والتحقيق في السجون الإيرانية عدة مرات، وبعد أن حصلت لها على حق اللجوء السياسي إلى حيث أعيش، هربت مع أطفالها، في مايو ٢٠٠٨، بأوراق مزورة، ووصلت إلى الأراضى السورية معتبرة نفسها امرأة عربية دخيلة على أبناء عموماتها العرب وفي حمايتهم حتى تنهي إجراءات سفرها لدى المفوضية السامية للاجئين التابعة للأمم المتحدة، لتلتحق بزوجها.. ولكن لم تكتمل العملية، فقبل وصولهم إلى المطار، اقتيدت زوجتي إلى السجون السورية، ولجأ الأطفال إلى شقة موحشة يعيشون فيها وحدهم بانتظار رجوع والدتهم..».. كان رجاؤه الوحيد التدخل لعدم تسليم زوجته إلى السلطات الإيرانية، حيث سينتهي أمرها وتكتب نهايتها هناك.

حاولنا ولم نوفق في معرفة مصير هذه المرأة العربية منذ ذلك اليوم، حتى جاء الاتصال الأخير من أبو إياد، ثالث أيام عيد الفطر، ليخبرني خبر الفاجعة «لقد سلم السوريون أختهم العربية، معصومة الكعبي مع أطفالها الخمسة، إلى السلطات الإيرانية منذ ثلاثة أيام.. وقد زارتهم جدتهم في السجن (الإيراني)، حيث التقت بالأطفال لكنها لم تر معصومة الكعبي، وتم إبلاغ الجدة المسكينة بعدم محاولة السؤال عنها، وقالوا لها (انسوا أمرها).. سألته، وماذا يعني ذلك؟.. «يعني انها إما ماتت أثناء التعذيب وإما ستبقى هناك حتى تموت.. واعلمي انها ليست المرة الأولى التي تقوم سوريا بتسليم اللاجئين السياسيين الأحوازيين إلى دولة الاحتلال الإيراني، بل سلمت خمسة من المناضلين الأحوازيين في عام ٢٠٠٦ وسلمت المناضل سعيد حمادي قبل عدة أشهر في هذا العام (٢٠٠٨)، حيث يتعرض كلهم لأشد أنواع التعذيب في السجون الإيرانية منذ ذلك اليوم».

ولكن أبو إياد لم يقبل أن ينهي مكالمته قبل أن يرمي بثقل همه الوطني والعربي أمامي متسائلاً «هل هذه شيمة العرب يا سيدتي؟.. في أي عصر نحن نعيش؟.. ألا تمثل هذه الجريمة ظاهرة جديدة على ثقافتنا العربية؟.. فلم يسبق أن ذكر التاريخ ان العرب سلموا امرأة دخيلة لديهم لأعدائها، ومن أي جنسية كانت، فما بالك إذا كانت هذه المرأة عربية!.. ليس ما يحدث في عصرنا الرديء هذا هو خروج لأخلاقي عن العرف والقيم العربية التي تحترم الدخيل وتسدن المحتاج وتحافظ على المطاردين!..»

أسئلة صعبة، لا أملك رداً عليها.. بل أشاركه السؤال، وأتساءل: ياترى لماذا هذا التعقيم الإعلامي على قضية شعب بأكمله يعيش في ظل الاحتلال والاضطهاد منذ أكثر من ثمانين عاماً؟!، ولماذا لا تبالي منظمات حقوق الإنسان، التي ما برحت تعبت بأمن بلداننا بادعاءاتها الكاذبة، بقضية الشعب العربي في الأحواز!..

إن قضية هذه السيدة العربية ومعاناتها ليست بحالة فردية في الأحواز المحتلة، فما يلاقيه العرب هناك يندرج تحت كل أصناف الاضطهاد العرقي والمذابح الجماعية وانتهاكات حقوق الإنسان، فلماذا لا تلتفت المنظمات الحقوقية إلى تلك الجرائم التي تعمي الأبصار لشدة وضوحها؟!.. أين هذه المنظمات من قضية معصومة الكعبي وأطفالها؟!.. بل أين المعتصم بالله لينقذك من الذل والموت يا سيدتي المناضلة!..